سلسلة نُبَذ (١٧)

سير قديسين

تأملات في سيرة القديس

الأنبا شنوده رئيس المتوحدين

بقلم

البابا شنوده الثالث

الطبعة الأولى

٢٠٢١م

قداسة البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ١١٨

قداسة البابا شنوده الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الـ ١١٧

القديس الأنبا شنوده رئيس المتوحِّدين[1]

† **هو قديس من الصعيد من أخميم من قرية شندلات.**

† **وهو ابن المواعيد.. كان إنسانًا يعرفه الله جيدًا قبل أن يولد.**

† ينطبق عليه قول الكتاب: "الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ" (رو ٨: ٢٩).. وقد حدثت رؤى كثيرة بشأنه.

معنى رئيس المتوحِّدين

كلمة **متوحِّد** في الماضي كانت تعني أي راهب.. فكلمة رئيس

[1] عظة لقداسة البابا شنوده الثالث، بتاريخ ١٦ يوليو ١٩٧١م

المتوحدين إذًا تعني رئيس الرهبان.

رؤيا للبابا أثناسيوس الرسولي

هي رؤيا رآها القديس الأنبا أثناسيوس الرسولي البطريرك العشرين، وهو هاربٌ من وجهِ الهراطقة.. ففيما هو سائرٌ في صحراء أخميم رأى رئيس الملائكة ميخائيل ممسكًا سيفًا، ويضرب به الهراطقة.. وأتاه صوتٌ قائلًا له: "إن هذا السيف هو طفل يولد ويُسمى الأنبا شنوده، والله يزيل به البدع من الأرض". وتحقَّقت هذه النبوة، إذ أزال الأنبا شنوده الوثنية، حيث عاش حواليْ ١٢٠عامًا مثل موسى النبي، وكان سيفًا ضد الوثنية. **استطاع أن يحوّل الكثير من الوثنيين إلى المسيحية، بل استطاع أن يحوِّل الكثير من المعابد الوثنية إلى كنائس.**

نبوءة عن مولده

هي نبوءة للقديس أوراسيوس المتوحد؛ حيث كانت والدة القديس الأنبا شنوده سائرة في الطريق لتستقي ماءً، فقابلها

الأنبا أوراســـيوس في الطريق وقبَّل رأســـها، وقال لها: "**الرب يبارك ثمرة بطنك**". وعندما تعجَّبت من الموقف قال لها: "**إن ملاك الرب قد ظهر لي، ورأيته وهو يحوِّط عليكِ، وقال لي أنك ستنجبين ابنًا يكون بركةً للعالم**".

ظهور العذراء لوالدته

رآها أبوه وأمـه؛ حيث ظهر كوكبٌ لامع في البيت، وظهرت القديسـة العذراء مريم في يديها صـليب، وناولتها رغيف وقالت لها: "ستلدين ابنًا وتدعين اسمه شنوده". **(شنوده: كلمة قبطية معناها ابن الله)**.

نشأته

عرف الله منذ طفولتـه، حيث ذهـب إلى الرهبنـة وهو طفل.. وكان وحيدًا لوالديه، وكان يعمل في رعي غنم أبيه مع أحد الرعاة وقت أن كان عمره ســبع ســنوات.. وكانت أمه تعطيه طعامًا لكي يأكله، فكان يعطي طعامه للرعاة ويصـــوم حتى الغروب وهو لا يزال في الســـابعة.. وكان ينصـــرف وقت

الغروب ويذهب في مكان عند بِركة، ويقف ليصـــلِّي ويطيل الصلاة ويرجع متأخرًا إلى البيت.

وعندما عاتبت أمه الراعي بســـبب تأخُّر ابنها في الرجوع إلى البيت أنكر ذلك.. وفي اليوم التالي تتبَّع الراعي الطفل شنوده، ورآه وهو يصـلِّي عند البِركة، **وكانت يداه تضـيئان كالشـموع،** وقد أخبر الراعي أم القديس وأبيه بما رآه؛ فاصـطحبه أبوه إلى خاله الأنبا بيجول رئيس أحد الأديرة.

الطفل شنوده راهبًا

عندما ذهب أبوه إلى الأنبا بيجول كان يجلس مع مجموعة من الضـيوف، فإذ به يقول لضـيوفه: "**هَلُمُّوا بنا نذهب لاسـتقبال رئيس المتوحدين**".. وعندما رآه خاله أخذ يديه ووضـعها على رأسـه، وقال له: "بارك عليَّ".. واسـتبقاه معه في الدير. **وكثيرًا ما كان يرى ملاك الله يحرسـه**.. وفي يوم من الأيام ظهر له ملاك الله وفي يديه إســـكيم، وقال له: "**هلم ألبس شـــنوده الصغير إسكيمًا وارسمه راهبًا**".

حياته في الدير

عاش الأنبا شنوده في حياة النقاوة والبساطة، ولعله لذلك كان شـــديدًا في التعامل مع الخطاة.. فكان حازمًا جدًا. وقد عاش لا يأكل إلا أكلة واحدة في الغروب، ولم يكن يأكل مطلقًا للشبع، **وفي الأربعين المقدسة** كان يقتات على بعض الحبوب المبلَّلة بالماء. **وفي إحدى المرات في أسبوع البصخة صلب نفسه على صليب من الخشب.. وذلك لكي يختبر الآم رب المجد.** وكان يعكُف على الصـــلاة والقراءة.. وكان يبكي كثيرًا في صـلاته. وفي بداية رهبنته كان يصـلي ١٢ مرة في اليوم، وفي كل صـلاة كان يضـرب ٢٤ ميطانية، وكان يسـهر الليل حتى الفجر.

وقد درس الكتاب المقدس دراســةً عميقة.. وفيما بعد صـــار معلِّما كبيرًا جدًا في جيله. وقد كان يفتح باب الدير للشـــعب المحيط، وهو أمر لم يكن معروفًا من قبل.. فكان يفتح الدير لهم مساء يوم السبت، ويعظهم ويناولهم من الأسرار المقدسة. وقـد ترك الكثير من الوثنيين عبـادتهم الوثنيـة، وصـــاروا

مسيحيين، هجروا الهياكل الوثنية، واستُعملت حجارتها في بناء الدير الكبير الذي يحمل اسمه.

وقد كثُر الرهبان في منطقته لدرجة أنه كان في منطقته أكثر من ٥٠٠٠ راهب و١٨٠٠ راهبة، وكان له عددٌ من الأديرة منها **الدير الأبيض** الشهير، وأيضًا كان هناك عددٌ من الأديرة الأخرى للرهبان والراهبات.

وقد وضع عددًا من قوانين الرهبنة، **وكانت قوانينه أشد من قوانين الأنبا باخوميوس.**

خدمته للشعب

كان يدافع عن الشعب المحيط به في منطقته.. وكان يقود هذا الشعب كله ويقدِّم لهم الطعام، لدرجة أنه كان يوجد لديه أحد عشر مخبزًا لصنع الخبز.. وفي إحدى المرات كاد الخبز أن ينتهي من عنده، فظهر له شخص منير، ولما سأله مَن هو عرف أنه القديس بولس الرسول جاء يسلِّمه خبزه، ووضعها في مخزن الخبز، وقال له: "**لقد حلَّت بركة الرب في**

هـذا المخزن". فـأطعموا الآلاف، ولم تنتـهِ بركـة الرب من مخازن الخبز.

كان يهتم أيضًـا بالأسـرى والمسـبيين، ويدافع عن الناس الذين وقعوا في يد البربر. وكان يُعتبر أبًا للمنطقة كلها يهتم بهم من الناحية الروحية والناحية المادية.

وقد أعطـاه الله مواهب كثيرة، من بينهـا أنـه كـان يعرف أفكار النـاس، وكـان يعرف الكثير من الخبـايـا التي تختفي عليـه، وكان أحيانًا ينظر خطايا الذين يأتون إليه ويراها.

معجزات الأنبا شنوده

١) رهبنة تائب

في إحدى المرات أتاه شـــخص، وقال له: "بارك عليَّ يا أبي"، فقال له القديس: "كيف أبارك عليك وأنت ما زلت تســـير في طريق الخطيئة؟! اذهب وتُب عن خطيئتك وافعل ما آمرك به، وعندئذ يباركك الرب.. **وإن كنت تصـبر على ما أرشـدك به، فحينئذ تخلُص**". وأقام هذا الشـــخص عنده، وترهَّب في ديره،

وكان يفتقده كل أسبوع إلى أن تتيَّح بسلام.

٢) شفافية الأنبا شنوده

وفي إحدى المرات وهو يبني الكنيسة أتاه شخصٌ غني ومعه ١٢٠ دينارًا من ذهب ليعطيها للأنبا شنوده كتبرعٍ للدير والبناء، وقد وضع شرطًا.. حيث قال: "لو ذهبت للأنبا شنوده ووجدت أنه إنسانٌ رحيم يتصدَّق على الفقراء، فسوف أعطيه ١٢٠ دينارًا، وإن وجدته لا يتصدَّق على الفقراء فسوف لا أعطيه شيئًا".. فاصطحب أحد أصدقائه وتركه في الطريق، ولبس هو ملابس رثة، وذهب للأنبا شنوده وقال له: "أنا إنسانٌ فقير ومسكين، وأنا واقعٌ في ضيقة وأحتاج ٢٠ دينارًا لكي أخرج من هذه الضيقة".. فقال له الأنبا شنوده: "ليس هذا وقت للمزاح، هل تريد أن تأخذ ٢٠ دينارًا لكي تضيفها على ١٢٠ دينارًا التي تريد أن تتصدَّق بها للدير؟".. فنظر إليه الرجل في ذهول!

فنادى الأنبا شنوده على تلميذه وقال له: "اذهب خارج الدير

إلى المكان الفلاني فستجد رجلًا جالسًا معه قُلَّة، فقل له: "صديقك يقول لك تعال إلى الدير، واحضر المال الذي معك".. وأعطاه علامات معيَّنة لا يعرفها إلا صاحبه. فسجد له الرجل الغني.. وقال له: "**اغفر لي يا أبي ما فكرت به عنك، وأنا رأيت فيك أكثر مما سمعته عنك**".

٣) معجزة التاجر

في إحدى المرات أتاه تاجر وكانت قد سُرقت جميع أمتعته، فبكى عند يديه وقال له: "**فلتدركني رحمتك أيها القديس، فقد سُرِقت جميع أمتعتي**".. فقال له القديس: "اذهب خارج المدينة تجد ثلاثة رجال جالسين، وواحد منهم يمشِّط شعره، فقل له: الأنبا شنوده يريد أن يراك".. وبالفعل ذهب التاجر ووجد الرجال الثلاثة، وواحدٌ منهم يمشِّط شعره. كلَّم الشخص الذي يمشِّط شعره فذهب معه إلى الأنبا شنوده، فقد كان يريد أن يراه. طلب البركة من الأنبا شنوده فقال له القديس: "**سوف يباركك الله إذا أرجعت أمتعة هذا التاجر له وأنت قد سرقتها منه**".

فقال له: "أنت تعلم يا أبي أني لم أســـرقها بمفردي".. فطلب الأنبا شـــنوده من التاجر أن يترك جزءًا من الأمتعة للرجل فوافق، وذهب الرجل مع التاجر وأحضر له أمتعته كلها وجاءا بهـا عنـد القـديس، فطلـب من التـاجر أن يعطي جزءًا من الأمتعة للرجل فأعطاه.

ثم قال التاجر للأنبا شـــنوده: "ألا تحتاج إلى شـــيء يا أبي القديس؟".. فقال له القديس: "**أنت ذاهب إلى الإســـكندرية الآن، أول حاجة تصـادفك اشـتريها وأحضِـرها للدير، وأنا سوف أدفع ثمنها**".. فقال له: "سأفعل".. وركب السفينة ووجد رجلًا معه صـينية خاصـة بالمذبح، وكان قد سـرقها من دير الأنبا شـنوده ويعرضـها للبيع. قال التاجر لنفسـه: "**إن هذه صـينية غالية الثمن، وأنا سـأخجل أن أطلب ثمنها من الأنبا شـنوده.**" فرفض أن يشـتريها.. وما أن نزل من السـفينة في الإسكندرية حتى قابل نفس الرجل ثانية، ولكنه رفض أيضًا أن يشـتريها، رغم أن الصـينية كان ثمنها أربعة دنانير.. **وقضـي في المدينة يومين، وفي كلِّ يوم كان يقابل هذا الرجل ومعه**

الصينية، وكان يضغط على ضميره ويرفض أن يشتريها.. وركب السفينة، فوجد نفس الرجل الذي يعرض الصينية، وإذا بأحد البحارة على المركب اشتراها بأربعة دنانير وذهب بها إلى الأنبا شنوده، فلما سأله الأنبا شنوده عن ثمن الصينية قال له أنها بثمانية

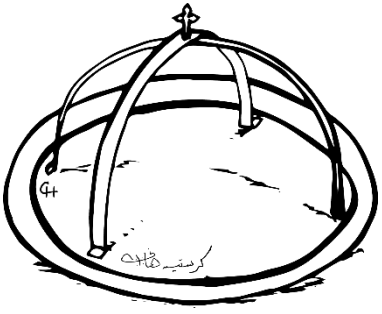

دنانير.. فقال له الأنبا شنوده: "**لقد اشتريتها بأربعة دنانير فقط، فالبحار خجل ورفض أخذ أي أموال من الأنبا شنوده.**

ثم جاء التاجر للأنبا شنوده يقول له: "لقد فقدت دينارًا ذهبيًّا قيمته خمسون دينارًا، وأعتقد أني فقدته في الدير".. فقال له الأنبا شنوده: "لقد فقدت الدينار في السفينة وقد ذهب لمن يستحقَّه، وكان قد وجده البحار الذي قدَّم الصينية للأنبا شنوده. ونظرًا لأن هذا التاجر كان مُحبًّا للمال، فقال له الأنبا شنوده: "**العالم يا ابني يشبه المرأة الزانية التي تكون اليوم**

في بيتك وفي يوم آخر في بيت واحد آخر، فلا تتعلَّق بالمال الذي يوجد اليوم معك وفي يومٍ آخر مع واحد آخر".

٤) ركوبه على السحابة إلى مجمع أفسس

من المعجزات المشهورة الموجودة في سيرته أن سحابة حملته وذهبت به إلى مجمع أفســـس. **وهذا لأنه عندما جاء ليركب السفينة مع القديس البابا كيرلس عمود الدين، رفض الخادم أن يركب القديس معهم بملابسه الرثة**، فقال الأنبا شنوده: "لا تغضب"، وتركه ومشى، فإذا بالسحابة تأخذه إلى هناك.

٥) شفاء البربر

ذهب في مرة ليعيد عددًا من الناس كان قد ســـباهم البربر، وعندما شاهده البربر رفعوا سيوفهم عليه، فيبست أياديهم في الحال.. فطلب منه رئيس البربر أن يصـفح عنهم ويعيد إليهم قوتهم، وهو يعطيه كل شـــيء، الناس والغنائم.. فقال له القديس: "**أريد الناس فقط، ولا أريد شـــيئًا آخر".. وبالفعل شفاهم القديس بصلواته وأخذ الناس وردَّهم إلى ديارهم.**

٦) مباركة الحبوب

في إحدى المرات أتى إليه رجل فقير يطلب صـــدقة، فأخذ بعض حبوب من القثاء وبلَّلها بالماء الموجود في المذبح، وعندما زرعها الرجل في حقله أنتجت عددًا كبيرًا من الثمار، لدرجة أن الرجل أصـــبح من الأغنياء. فأراد أن يعطي الأنبا شنوده نصف الإيراد، فرفض الأنبا شنوده وقال له: "احتفظ بالأموال لك ولأولادك".

٧) الراهب بساده

كان يحرس بستان الدير أخٌ راهب اسمه بِساده، وكان كثير الصدقة، فكان يعطي كل واحد يأتي إليه من خيرات البستان.. فشـــكاه الرهبان للأنبا شـــنوده وقالوا له إنه يبدِّد أموال الدير. فصلَّى الأنبا شنوده صلاة نصف الليل ونام عند الفجر، فرأى رؤيا **حيث ظهرت له السيدة العذراء وقد أمسكت بيدها بساده البستاني وقالت له: "احذِر من أن تُبطِل صدقة البستاني"**.. وأتت ببســـاده إلى الأنبا شـــنوده، وقالت له: "**هل ترى فيه أي**

خطية.. اترك بساده يتصدَّق بصدقة البستان ولا تؤذِه".. فاستيقظ الأنبا شنوده وخرج، وأول من صادفه كان الأخ بساده، فسأله الأنبا شنوده: من أين جئت؟ فقال له: "الذي ظهر لك في المنام وكلَّمك من جهتي هو الذي أرسلني إلى هنا".. فقال له الأنبا **شنوده: "اذهب يا ابني واطمئن، وأنا سوف أزورك في البستان"**.. وفي اليوم التالي، ذهب الأنبا شنوده إلى البستان، **فرأى السيدة العذراء ممسكة في يدها بلقان به ماء، وكانت ترش من الماء على البستان لكي يضع فيه الله البركة.** فذهب الأنبا شنوده إلى تلاميذه وقال لهم: "اتركوا هذا الرجل القديس يتصدَّق كما يشاء، لأنه بالصدقة التى يقدِّمها الله سوف يبارك هذا البستان ويملأه من الخير".

٨) جنود الإمبراطور

في إحدى المرات سمع عنه الإمبراطور ثيؤدوسيوس، فأرسل مندوبًا من عنده مع جنود لكي يأتوا به إلى الإمبراطور لينال بركته.. وعندما ذهبوا إلى هناك اعتذر الأنبا شنوده وقال:

"إنِّي رجلٌ مسن ولا تسمح صحتي بالسفر".. فقالوا له: **"إذا لم تأتِ بإرادتك سوف نأخذك بالقوة"**. فقال لهم: "ما دامت هناك قوَّة، فأعطوني يومًا"، ثم **ذهب للصلاة، فنقله الله بطريقة معجزية إلى القصر في القسطنطينية**.. وعندما رآه الإمبراطور سأله: مَن أنت؟ قال له: **"أنا شنوده الذي تبحث عنه. أرجو أن تقول لجنودك أن لا يتعبوني ويلحوا عليَّ.. وها أنا قد أتيت إليك"**.. فقال له: "كم من الوقت أخذته لتأتي إلى هنا؟".. فقال له: في الصباح كنت في الدير، وها أنا جئت إليك الآن.

فتعجب الإمبراطور جدًّا من هذا، وكتب له رسالة وختمها بالختم الخاص به يأمر فيها الجند أن يرجعوا. **فشكره الأنبا**

شـــنوده، ثم عاد إلى ديره بنفس الطريقة المعجزية وأرســـل للجنود، فقالوا له: "ســـوف تأتي معنا، أم نأخذك بالقوة؟" فقال لهم: "**لقد قلت لكم إن صـحتي لا تسـمح لي بالسـفر.. فقالوا له: "يجب أن تأتي معنا"**.. فأعطى لهم الأنبا شنوده الرسالة، وعندما رآها رئيس الجند وقرأها، ورأى ختم الإمبراطور تعجَّب جدًّا وســـجد له، وقال للقديس: "**يا أبي خذني راهبًا عندك"، فقال لـه القديس: "إن الإمبراطور يحتـاج إليك". فـ**رجعوا إلى الإمبراطور بعد أن باركهم..

معجزات يصعب تصديقها

مثال: قيل أن الأنبا شنوده، وهو سائر مع بعض الرهبان ومع تلميذه الأنبا ويصا، رأى سلمًا فصعد عليه، وحضر قداسًا في السـماء.. رأى كنيســة واحتفلوا بالقداس، وجاء داود النبي وقرأ المزمور، ثم جاء القديس بولس وقرأ البولس، ثم جاء القديس يوحنا وقرأ الكاثوليكون، ثم جاء القديس لوقا وقرأ الإبركســيس، ثم القديس متى وقرأ الإنجيل، ثم صلَّى القديس بطرس والقديس

إسطفانوس رئيس الشمامسة القداس حتى جاء السيد المسيح، وبارك الجميع. وقد حضـــر هذا القداس جميع الرســـل وفي النهاية كان يغســـل كل واحد يديه، **ويأخذ تفاحة. ثم نزل القديس الأنبا شنوده وعاد إلى موضعه!!**

الأنبا شنوده معلِّمًا

كان الأنبا شـــنوده معلِّمًا ومرشِـــدًا عظيمًا، وتتلمذ على يديه الكثير من الرهبان.. **وكان متمسِّـــكًا باللغة القبطية تمسُّـــكًا شـــديدًا، وكان يتحاشـــى الكلمات اليونانية. ولذلك اعتبره المورخون زعيمًا للأدب القبطي**.. ولعل ذلك هو الســـبب في عدم ذكر اســـمه في مجموعة آباء نيقية وما بعد نيقية.. وقد كان يتكلم باللغة القبطية الصـعيدية، وكان بارعًا في اسـتخدام مفردات اللغة، ولكن بمرور الوقت بدأ العالم يعرف كتاباته، خصـوصًـا عندما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصـر، وتم فك رموز حجر رشيد.

للأنبا شنوده ثلاث مؤلفات شهيرة، من بينها:

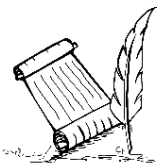

١. قوانين الأنبا شنوده الخاصة بالرهبنة.

٢. عظات الأنبا شنوده وتعاليمه للشعب.

٣. الرسائل التي كتبها.. وهناك عددٌ من الرسائل المتبادلة بينه وبين بعض البطاركة في عصره، خصوصًا عندما كانت هناك محاولة لرسامته في درجة الأسقفية.

قوانينه موجودة في ثمانِ مجموعات، وعظاته في تسع مجموعات. وقد انتشرت هذه الكتابات في عدد من متاحف ومكتبات العالم، ويوجد بعضٌ منها في "**مجموعة مورجان**" في المتحف القبطي في مصر، وفي المتحف البريطاني والمعهد الفرنسي للآثار الشرقية والمتحف المصري في مدينة تورين الإيطالية والمكتبة الأهلية في ڤيينا.. وقد استطاعوا أن يعثروا على ١٤٨ من العظات والقوانين.

تاريخ الاهتمام بسيرة الأنبا شنوده

بدأ الاهتمام بسيرة الأنبا شنوده عندما جاء العالم الفرنسي "ڤان سليب" وقام ببحث عن الديْرِيْن الأحمر والأبيض، ونشر بحثه في باريس عام ١٦٧١م.. وأيضًا اهتم بسيرته العالم الفرنسي "الينو" في عام ١٩٠٧م، والعالم المعروف "كرمب".. وأكثر عالم اهتم بجمع مؤلفات الأنبا شنوده كان العالم "ستيفن إيمري".. فقد جمع هذا العالم كل ما يتعلَّق بكتابات بالأنبا شنوده، وقام بعمل فهارس بكتاباته الموجودة في المكتبات والمتاحف المختلفة.

كيف أكون قديس؟[٢]

سؤال

"كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ" (١بط١: ١٦).. ما معنى أن الله قدوس، وكيف يمكن أن أكون قديس؟

الجواب

الله قدوس: أي أنه بطبيعته لا يقبل الخطية، وأيضًا بطبيعته فيه كل النقاوة وكل ما يتعلق بالقداسة.

أي أن كل الصفات الكاملة موجودة فيه ككائن قدوس.

بالطبع يوجد صفات خاصة بالله لا توجد عند أحد آخر، وفي صفات يكون الله فيها قدوس ويشترك فيها البشر بنسبٍ معينة. أي أن عند الله هذه الصفات غير محدودة وعند البشر هذه الصفات محدودة.

مثل صفات الرأفة، والرحمة، والحنان، والحب، كلها موجودة

---

[٢] سؤال أجاب عنه قداسة البابا شنوده في عظة "إِنْ أَهْمَلْنَا خَلاَصًا هذَا مِقْدَارُهُ؟"، بتاريخ ١٣/١/١٩٩٠م.

ممكن عند البشر لكن عند ربنا بطريقة غير محدودة.

القداسة عند الله غير محدودة وأنت عندما تصبح قديسًا، تصير قديسًا بطريقة محدودة.. يعني ما تستطيع إمكانياتك البشرية أن تصل إليه.

كيف يمكنك أن تكون قديس؟

أولاً: بالتوبة.

ثانيًا: باقتناء ثمار الروح القدس.

ثالثًا: بالنمو في كل هذه الثمار الروحية.

إذًا التوبة، ثمار الروح القدس، النمو فيها.